

# المقطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد الرابع والثمانين

١٦ ذي الحجة سنة ١٣٥٢

١ أبريل سنة ١٩٣٤

## العلم والفلسفة

كان عهدُ وكانت المعارف الألمانية قليلة التنوع . ففي عصر الاغريق الاقدمين ، كان حكامهم لا يفرقون بين الرياضة والماليد والبيكولوجيا وأدب النفس فكانت طائفة كبيرة منهم فلاسفة ومصالحين ورياضيين وطبيين في آن واحد . بل وكانوا ساسة وجنوداً ومهندسين ومجاراً كذلك ، وهذا يدل على وحدة المعرفة في عصرهم ، بل على وحدة المعرفة والعمل . حتى التعليم في « الاكاديمية » و « الليسيوم » كان وفقاً لتقاليد الموروثة عن فيثاغورس تلميحاً تاماً يتناول المبادئ ، والاصول في الغالب دون التفصيلات . وهذا لا ينفي ان بعض المفكرين في تلك المدرستين حاولوا الانتطاع لفرع واحد من فروع المعرفة والتوفر عليه . ولم تنفصل العلوم بعضها عن بعض وتتحيز مباحثها الا في عهد مدرسة الاسكندرية وبعدها ولكن من الطبيعي ان تكون المعرفة وحدة غير مجزأة ، لما كانت العلوم في مهدها . بيد ان موقف الاغريق نحو وحدة المعرفة ؛ يعدو هذه الظاهرة السطحية . ذلك انه يقوم مثلاً واضحاً على الصلة الوثيقة بين ارتقاء الرياضة والعلم من جهة والتلسفة من جهة اخرى . وفي مكنتك ان تبيين اثر هذه الصلة خلال المصور التي تلت عصر الاغريق ال عهد قروينقوس وكيلرونيون . ثم اننا نجد مكتشفات ديكارت الرياضية والعلمية اساساً لاسلوبه الفلسي ، بل ان نظريته الصكونية Cosmological والبيولوجية اوجت الى الفيلسوف سينوزا برهاناً هندسياً لنواهي الضمير . ثم انت تقع في فلسفة لينتر على فكرة « التناهي في الصغر » فتجدها كسطم العقد تنظم رياضته العالية (حساب التفاضل ) ونظريته في المادة وفلسفته النفسية والادبية وفقهه الديني وكانت فلسفة كانت باعنا على فتح الهوة بين العلم والفلسفة في القرن التاسع عشر . فاصح العلم متحلاً

لوثق اتصال العقل بالجزء المجرد قائماً عليه . اما شذون الحياة اليومية وما يلزمها من اقامة الاوزان الادبية فتركت لاحكام العقل العملي والخبرة ، وهذا أصبح ظلالاً من الرتبة على مكانة المسائل النفسية من العلم . فقامت للعلم ، القائم على العقل المجرد ، سلسلة من الانتصارات الباهرة قامت مدرسة الواسميين وهبطت مكانة الفلسفة . فتمهد السيل جينشنر ، لتفسير الكون والحياة تفسيراً ميكانيكياً مادياً . وساد الرأي بأن الحقيقة متصلة بالمادة من حيث ان الشيء لا يكون حقيقياً الا اذا كان كالمادة ، مما تتركه الخواص ولو ادراكاً نظرياً كادراك القرآت واما ما عدا ذلك ، فتخطت في ظلم من الاشباح . وغدا حتماً على كل باحث عن الحقيقة ان يحلها الى اجزائها ويصنعها بما تتركب به من الجزئيات والذرات ومن المعجب ان التادي في هذا التحديد قضى على « الحقيقة » كما ندها هؤلاء المفكرون

أما وقد أصبحت المادة خليطاً من المكان والزمان والامواج ، فالاساس الذي قام عليه علم القرن التاسع عشر قد انهار . أما وقد زالت الضرورة القاضية بأن حقيقة الشيء يجب ان تطبق على صفات الاشياء التي تدركها الحواس ، فليس ثمة حائل الاك ، دون حسان ، ما يورخي به الاختيار الديني او حس الجمال ، في عداد الحقائق . وكذلك تمهدت الطريق لاعادة النظر في تفسير الكون تفسيراً فلسفياً جديداً . وكانت النتيجة الاولى ، لهذا الاتجاه الجديد ، تقرب الشقة بين العلم والفلسفة . فعلماء الطبيعة اخذوا يبحثون عن حلول لمشكلاتهم الخاصة ، في الناطق التي وراء علم الطبيعة كما كنا نعلمه . والفلاسفة في اهتمامهم بمباحث العلماء هذه استرعهم اساليب العلم وتأنجها ، وهبطوا يبحث « ما وراء الطبيعة » الى دور الامتحان . ثم ان فلكنين وطبيعيين من مقام ادلتمن وجيز وبلانك واينشتين ، اصبحوا لا يحسبون ظالم المادة فا كيان مستقل عن العقل . وموقفهم هذا نقيض موقف اسلافهم في اواخر القرن الماضي ، اذ كان اولئك يحسبون المادة وحدها حقيقة ، وكل ما عداها شبحاً من الاشباح . بل ان هذا الانقلاب يبدو لك ابث على المعجب ، اذ تعلم ان المادة كانت في نظر الاسلاف خاضعة خضوعاً اعمى للنواميس الميكانيكية . ولكنها في نظر المعاصرين متمتعة بنوع من حرية الارادة ، وفقاً للمقتضيات التي ينطوي عليها مبدأ هيزنبرج في عدم التثبيت . ويعلق الفيلسوفان الكماليان هريتهد ورسل ، بهذه الناحية من صفات المادة شيئاً خطيراً

ومن نتائج هذا التعاون في علوم الحياة ، ان الحياة لا يمكن ان تكون نتيجة لافعال تقادة الجمادة سائرة سيراً اعمى وفقاً للنواميس الميكانيكية . بل هي شيء اساسي مبدع ولها قصدها الخاص . ومن هنا نشأت فلسفة تعرف بفلسفة التطور المبدع ، تخلق الحياة بمقتضاها ، اشياء جديدة خلقاً متصل الحلقات . حتى الذين لا يلهون بالتفريق الاساسي بين المادة والحياة ، يمدون الى فلسفة البروغ (Emergence) كهويتهد والكسندر ومورغن او الفلسفة الكلية Holiam كسطن واناداه بالتعاون بين العلم والفلسفة آية الحياة الفكرية في هذا العصر . ولا يسعنا الا ان نحسب ادها وحدة قائمة بذاتها متفصلة عن الاخرى . بل هما عضوان حسان في جسم حي هو جسم المعرفة الانسانية